ما وراء 'اجتياح' الجمهوريين؟

04-11-2004

يبدو أن سياسة التخويف والترويع التي اعتمدها الرئيس بوش في العام 2001 ضد شعبه بحجة مواجهة خطر "الإرهاب العالمي"، مع عدم إغفال الحشد الأصولي المسيحي الذي يقف وراء بوش وزحف نحو صناديق الاقتراع في أعداد أضخم من انتخابات عام 2000 للتصويت ضد إفرازات "ما بعد العصرنة" كزواج المثليين والحق في الإجهاض.

يبدو أن سياسة التخويف والترويع التي اعتمدها الرئيس بوش في العام 2001 ضد شعبه بحجة مواجهة خطر "الإرهاب العالمي"، أتت أكلها أمس من خلال "الفوز" الذي حققه في الانتخابات الرئاسية ضد منافسه السيناتور جون كيري، مع عدم إغفال الحشد الأصولي المسيحي الذي يقف وراء بوش وزحف نحو صناديق الاقتراع في أعداد أضخم من انتخابات عام 2000 للتصويت ضد إفرازات "ما بعد العصرنة" كزواج المثليين والحق في الإجهاض.

هناك أسباب كثيرة وراء النصر الجمهوري الساحق، تتراوح بين الاختيار المدمر لجون إدواردز كرفيق كيري إلى أوهام قدرة التنظيم الإلكتروني (الذي كان يجب أن يزاح بعد السقوط المريع للمترشح هيوارد دين في الربيع الماضي) إلى العيوب القاتلة لكيري نفسه.

وقد راهنت إستراتيجية الحزب الديمقراطي كما هي مصاغة من قبل رئيس اللجنة القومية الديمقراطية تيري مكوليف، على القدرة البسيطة لنقد الوضع الاقتصادي، إلى جانب تحويل بوش إلى شيطان رجيم، من خلال آلة دعائية تحريضية، كان المخرج السينمائي مايكل مور أحد دعائمها.

لكن كانت هناك عوامل أخرى تختمر وأضرت بكيري كثيرا خاصة في مجتمع نصراني يحترم الدين، ويأتي في صدارتها القضايا الأخلاقية التي طالما انتهكها الليبراليون المشكلون للشريحة الواسعة للقاعدة الشعبية للحزب الديمقراطي، فعلى سبيل المثال، فإن مبادرة الاقتراع في ولاية أوهايو لحظر زواج الشواذ ربما ساعدت بوش كثيرا للتغلب على الحطام المحترقة لاقتصاد أوهايو وانعدام الشعبية للحرب.

إن بعض المراقبين الأمريكان وصف اكتساح الجمهوريين بـ"مفاجآت أكتوبر" بالنظر إلى فوز أكثر المرشحين تعرضا لحملة واسعة من النقد وموجة من السخط والتذمر الشعبي في الانتخابات الأخيرة، فمن أسابيع قليلة ماضية فقط أبرزت العناوين الرئيسية قتلى جنود البحرية الأمريكية في العراق وتزايد حالات "التمرد" من الجيش الأمريكي بسبب نقص المعدات لحماية أنفسهم!. غير أن كيري والديمقراطيين لم يكونوا قادرين على استغلال أي من هذه العناوين الرئيسية.

* إنها الثقافة يا غبي؟؟!

علق جيمس كارفيل، مستشار بيل كلينتون خلال عهدته الرئاسية الأولى 1992، عبارة "إنه الاقتصاد يا غبي!" على حائط مكتبه. وباستبدال الثقافة بالاقتصاد، يمكن معرفة أساس فوز بوش بعهدة ثانية.

يشكل النصارى "التبشيريون" 40 % من السكان الأمريكيين، وربما صوت ثلاثة أرباعهم لبوش. ومن الواضح أن عدد الناخبين "التبشيريين" اندفع وشارك بفاعلية، كما توقع هذا كارل روف مستشار بوش السياسي. واستنادا للبيانات المتاحة يبدو وجيها أن الزيادة في مشاركة الناخبين "التبشيريين" بررت هامش الفوز الذي قدر بـ 3.5 مليون صوت للرئيس.

فما الذي أحضر 4 ملايين ناخبين "تبشيريين" آخرين لأماكن الاقتراع من في الانتخاب الرئاسي السابق؟ إذ إن الحركة "التبشيرية" ليست ذات طبيعة سياسية. وتنضم العائلات إلى الكنائس التبشيرية" كملجأ فرارا من موجة "إباحية" الثقافة العامة التي تهدد باجتياح أطفالهم. وتتركز المخاوف "التبشيرية" في قضايا العائلة، تربية الأطفال والقيم الشخصية، ولا تحمل أي طابع أو مظهر سياسي.

ومع أن الجمهوريين حولوا القضايا "الأخلاقية" إلى السياسة، غير أن الحقيقة الأكثر الأهمية أن "التبشيريين" قد أضفوا على القضايا السياسية أبعادا دينية أو بالأحرى حولوها إلى قضايا دينية.

إنه الواقع المعقد والصعب للحياة الأمريكية المتحررة الذي جعل من القضايا الأخلاقية ذات أهمية بالغة بالنسبة للناخبين، حيث أصبح الإجهاض والزواج المثلي من القضايا الحيوية، ولهذا اندفعت شريحة واسعة من الأمريكيين في 2 نوفمبر الماضي لتوجيه رسالة ولرسم خط بين قيمهم العائلية وبين الثقافة الإباحية، وصوتوا ضد ما أسموه بـ"التخريب الاجتماعي".